الفصل السادس

أساليب التربية الإسلامية

أولاً : أسلوب الموعظة

ثانياً : أسلوب القدوة

ثالثاً : أسلوب الممارسة العملية

رابعاً : أسلوب الحوار والمناقشة

خامساً : أسلوب التأمل الفكرى

سادساً : أسلوب الترغيب والترهيب والثواب والعقاب

سابعاً : أسلوب القصص

ثامناً : أسلوب الأمثلة

تاسعاً : أسلوب الأحداث الجارية

عاشراً : أسلوب الترويح

الفصل السادس
أساليب التربية الإسلامية

هناك العديد من الأساليب التى تتم بها التربية الإسلامية. وهي أساليب تربوية أصيلة ومعاصرة؛ فهى أصيلة لأنها تمتد بجذورها إلى أربعة عشر قرناً من الزمان أو يزيد، وهى معاصرة لأنها تناسب العصر الحالى، وكل عصر.

فما تنادى به التربية المعاصرة، من ضرورة تنويع طرق وأساليب التربية والتعليم والتدريس، هو ما قالته وعملت به التربية الإسلامية، المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ. تلك الأساليب التي عمل بها ودعا إليها المعلم الأول فى التربية الإسلامية. فكانت هناك القدوة، والموعظة الحسنة، وكان هناك الحوار والنقاش، والترغيب والترهيب، وكانت هناك التربية بالقصة، وبضرب الأمثلة، وبالأحداث الجارية، إلى غير ذلك من أساليب تربوية.

ويمكن الحديث عن تلك الأساليب التى تتم بها التربية الإسلامية، فى عشرة أساليب، هى :

١- أسلوب الموعظة.
٢- أسلوب القدوة.
٣- أسلوب الممارسة العملية.
٤- أسلوب الحوار والمناقشة.
٥- أسلوب التأمل الفكرى.
٦- أسلوب الترغيب والترهيب والثواب والعقاب.

٧- أسلوب القصص.

٨- أسلوب الأمثلة.

٩- أسلوب الأحداث الجارية.

١٠- أسلوب الترويح.

وفيما يلى تناول مختصر لكل من هذه الأساليب التربوية الإسلامية.

أولاً: أسلوب الموعظة:

وهو من أوسع أساليب التربية انتشاراً، ومن أكثرها تغطية للمواقف التربوية. فلا يكاد يخلو موقف تربوى من المواعظ والنصائح والإرشادات التي توجه للمتربيين، ولايكاد يستغنى عن ذلك الأسلوب مربٍ من المربيين.

وقد أمر الحق تبارك وتعالى رسوله الكريم أن يستخدم هذا الأسلوب فى الدعوة إلى الدين الجديد، فيدعو الناس بالموعظة الحسنة، حيث قال سبحانه:

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

والقرآن الكريم ملئ بالمواعظ والنصائح والتوجيهات، التي تهدف إلى تربية الإنسان الصالح، التربية الشاملة - ليكون صالحاً فى ذاته ولذاته، وصالحاً لغيره من جميع أفراد الجنس البشرى والحياة بأكملها... والقرآن الكريم:

﴿هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمرن: ١٣٨].

وهو الموعظة الإلهية:

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [يونس: ٥٧].

بل هو خير موعظة وفيه خير توجيهات من قبل العليم الحكيم:

﴿إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ﴾ [النساء: ٥٨].

والقرآن كله مواعظ وتوجيهات لايتسع المجال لذكرها، ولكن يمكن الاكتفاء

بذكر بعضها فى آيات قلائل بسورة واحدة - وهى سورة الإسراء - لنرى منها ما هو موجه لتربية الفرد، وما هو موجه لتربية المجتمع والأمة، حين يقول الحق سبحانه:

﴿لا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولاً ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلاً مَّيْسُورًا ﴿٢٨﴾ وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلا تَقْتُلُوا أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ﴿٣٢﴾ وَلا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ﴿٣٥﴾ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً ﴿٣٦﴾ وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا﴾ [الإسراء: ٢٢-٣٨].

انظر لتلك الآيات، لتجد فيها ما يوعظ الفرد ويوجهه نحو نموه الاعتقادى،

حيث الإيمان بالله وحده، وعدم الإشراك به.. وفيها ما يوجهه نحو نموه الاجتماعى ونحو تحقيق التماسك الاجتماعى فى المجتمع بأسره، حيث الإحسان إلى الوالدين وبرهما، وعدم نهرهما، وحيث صلة الرحم وإعطائهم حقهم وكذلك حق المساكين وأبناء السبيل، والبعد عن مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن، والوفاء بالعهد مع الآخرين.. وفيها ما ينمى الفرد ويضبطه جنسياً، بالبعد عن الزنا لأنه من أكبر الفواحش.. وفيها ما يوجه نحو التربية العلمية بضرورة التأكد والتحقق من المعلومات قبل إصدار الأحكام، وضرورة البحث عن المعرفة الصحيحة والإلمام بها.. وفيها ما يوجه نحو التعاملات الاقتصادية السليمة، كالبعد عن التبذير والبعد عن التقتير وإعطاء الكيل حقه، والوزن بالقسطاس المستقيم.. إلى غير ذلك مما تضمنته الآيات - وكل آيات القرآن الكريم - من مواعظ ونصائح تفيد فى تربية الفرد والمجتمع.

وكذلك أحاديث المصطفى ﷺ كلها مواعظ وتوجيهات مربية، كما أن فى كتابات السلف وآرائهم الكثير من المواعظ والنصائح... بل وحاليا، تقدم المواعظ والتوجيهات من الآباء للأبناء، ومن المعلمين والمربيين للطلاب والمتربيين، ومن العلماء والمشايخ بالمساجد وخارجها، ومن الإعلاميين والفنانين لمختلف الجماهير، ومن الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر بالطرقات وبالأسواق، ولكل من هو بحاجة إلى موعظة ونصيحة.. إلى غير هؤلاء ممن يستخدمون هذا الأسلوب التربوى.

ثانياً: أسلوب القدوة:

تعد القدوة من أنجح أساليب التربية، ومن أوقعها تأثيراً. وذلك لاتفاقها مع طبيعة النفس البشرية، مع فطرة الإنسان، مع حاجته وميله للتقليد والمحاكاة. ولسهولة اكتساب الخبرات من خلالها، ولكونها متجسدة وماثلة أمام المتأثرين بها.

وللقدوة تأثيرها الإيجابى، أو السلبى. تبعاً فى ذلك لاختلاف نوعية القدوة،

حسنة كانت أم سيئة، حيث لايقتصر التقليد على حسنات السلوك، بل قد يتعداها إلى غيرها. . ولذلك كان من الخطورة بمكان ظهور المساوئ فى سلوك من يمثل القدوة.

وقد أكد الإسلام على القدوة الصالحة، باعتبارها أسلوباً تربوياً هاماً فى تنشئة الأجيال تنشئة سليمة، تحقق الخير لهم ولغيرهم. . فدعنا الحق تبارك وتعالى إلى الاقتداء بخير قدوة وخير أسوة، حيث قال:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[الأحزاب: ٢١].

فقد كان رسول الله ﷺ خير قدوة للبشرية فى تاريخها الطويل. وكان مربياً وهادياً بسلوكه الشخصى قبل أن يكون بالكلام الذى ينطق به[١]، ولازال ﷺ بسيرته العطرة خير أسوة لكل الأجيال. فصلى عليه أفضل الصلاة والسلام أمام صحابته وأمرهم بالاقتداء به، قائلاً لهم:

(صلوا كما رأيتمونى أصلى).

وحج معهم وأدى مناسك الحج وأمرهم بالاقتداء به قائلاً:

(خذوا عنى مناسككم)[٢].

بل كان ﷺ خير قدوة فى شئون الدنيا والدين. حيث كان «رجل سياسة يشيد أمة من الفتات المتناثر، فإذا هى بناء ضخم لايطاوله بناء فى التاريخ. . وكان رجل حرب، يضع الخطط ويقود الجيوش ويحارب وينتصر كقائد متخصص كل همه القتال. . وكان أباً وزوجاً ورب أسرة كبيرة كرجل متخصص للأبوة على أعلى نسق شهدته الأرض، ومتخصص للأسرة لايشغله عنها شاغل من الحياة. . . فكان الأب الحنون الكريم، المفجوع بأبنائه والولوع ببناته وأحفاده، والأب الروحى لجميع الأطفال. وهو الزوج المثالى حباً للمرأة وإكراماً لها وعفوا عنها وإعانة لها. . وكان صديقاً وقريباً وصاحباً للناس تشغله همومهم وتملأ نفسه مشاعرهم، ويعودهم ويزورهم ويعينهم ويمنحهم من مودته وعطفه

ما يشغل رجلاً إنسانى القلب يهب حياته كلها لشئون الناس... وكان عابداً متحنثًا لربه، كرجل منقطع للعبادة.. ومع ذلك كله فهو قائم على أعظم دعوة شهدتها الأرض»[٣].

وهذه القدوة باقية ما بقيت السموات والأرض. فشخصيته ﷺ ليست آية عصر ولا جيل ولا أمة ولا مذهب ولا بيئة.. إنها آية كونية.. للناس كافة وللأجيال كافة:

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾[سبأ: ٢٨].

﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾[الأنبياء: ١٠٧].

فقد أرسله الحق تبارك وتعالى للناس كافة وللعالمين.. وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وأعلم بمن خلق، وهو اللطيف الخبير. وقد جعله القدوة الدائمة للبشرية، يقبسون من نوره، ويتربون على هديه، ويرون فى شخصه الكريم الترجمة الحية للقرآن الكريم[٤].

ويؤكد الإمام على بن أبى طالب رضى الله عنه على القدوة الصالحة ودورها فى التربية، فيقول: «من نصب نفسه للناس إماماً فليبدأ بتعليم نفسه قبل تعليم غيره. وليكن تأديبه بسيرته قبل تأديبه بلسانه. ومعلم نفسه ومؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس ومؤدبهم»[٥].

وحين يتكون مجتمع إسلامى، فإنه يشرِّب أطفاله (وأبناءه) مبادئ الإسلام عن طريق القدوة القائمة فى هذا المجتمع. متمثلة فى الأسرة والوالدين، وفى المدرسة والمعلمين،وفى العلماء والإعلاميين، وفى الزعماء والمسئولين.. فمتى وجد الطفل من هؤلاء قدوة حسنة، حذى حذوهم وجاء سلوكه حسناً. بينما «الولد الذى يرى والده يكذب.. لايمكن أن يتعلم الصدق، والولد الذى يرى أمه تغش أباه أو أخاه أو تغشه هو نفسه.. لا يمكن أن يتعلم الأمانة. والولد الذى يقسو عليه أبوه لا يمكن أن يتعلم الرحمة والتعاون...». والولد الذى

يرى أستاذه يتقاعس فى عمله، ولايخلص فيه، أو يعامله بقسوة أو يفرق بينه وبين زملائه فى المعاملة.. أو يرى من بعض الفنانين والإعلاميين التجاوزات والانحرافات الخلقية.. مثل هذا الولد سيتأثر حتماً بتلك النماذج السيئة.

لذلك «لابد للطفل من قدوة» حسنة، «فى أسرته ووالديه»، وفى مدرسته ومعلميه، «لكي يتشرب منذ طفولته المبادئ الإسلامية وينهج على نهجها الرفيع. ولابد للناس من قدوة فى مجتمعهم تطبعهم بطابع الإسلام وتقاليده النظيفة، لكى يحملوا الأمانة لمن يربونهم من الأجيال. ولابد للمجتمع من قدوة فى قائدهم أو زعيمهم أو حاكمهم، تتحقق فى شخصه المبادئ، وينسج على منواله المحكومين»[٦]. فاستقامة الظل من استقامة العود، وصلاح الرعية من صلاح الراعى. والكل راعٍ والكل مسئول عن رعيته.

ثالثاً: أسلوب الممارسة العملية:

يعد أسلوب الممارسة العملية من الأساليب التربوية الناجحة. والذى له العديد من الآثار والفوائد التربوية - كإتقان العمل، «وتعود الدقة، وتوخى صحة النتائج، وشعور الإنسان بالمسئولية عن صحة العمل، وحب العمل، واستبعاد الغرور، وترك الكسل والتواكل...»[٧].

ويعد أسلوب الممارسة العملية من أهم أساليب التربية الإسلامية. وذلك لأن الدين الإسلامى دين عمل، شريطة أن يكون العمل قريناً للعلم وقائماً على أساسه. وهو دين يجعل العمل أساساً للنجاح أو الخسران. فى الدنيا والآخرة. فإن كان خيراً فخير وصلاح وفوز ونجاح، وإن كان شراً فشر وخسران.

ويطالب الدين الإسلامى كل معتنقيه بتطبيق تعاليمه تطبيقا عملياً سواء ما يتعلق بتكاليف العبادة وما يهيئ للآخرة، أو ما يتعلق بشئون الحياة الدنيا.

فأول ركن من أركان الإسلام هو الشهادة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. «وإذا كانت هذه الشهادة لفظية، فإن ترجمتها عملية، تتمثل فى بقية أركان الإسلام»[٨].

والصلاة تؤدى عملياً، بالركوع والسجود، وبالقيام والجلوس. . . كما يتطلب أداؤها وضوءاً عملياً، وطهارة وغسلاً عملياً. والصيام فيه امتناع عملى عن الأكل والشرب والملامسة الجنسية طوال النهار:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾، ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧].

والزكاة إنما تؤدى عملياً؛ إذ «العلم بالزكاة لايمكن أن يكون مفيداً إلا إذا اقترن بعملها وفعلها»[٩]. وليس ابلغ من قول الحق تبارك وتعالى فى التأكيد على ذلك، حيث يقول:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٤].

وللحج شعائره ومناسكه، التى تتطلب الأداء العملي: من نية بالحج تترجم بأعمال الحج ذاته - من تجرد من الثياب المخيطة، وطواف، وسعى، ووقوف، ومبيت، وحلق أو تقصير، ثم الطواف ببيت الله الحرام. . كلها أعمال ومناسك إنما تؤدى عملياً.

بل وكل تعاليم الإسلام، إنما جاءت لكى تنفذ وتطبق على الواقع. ولا يكون المسلم مسلماً إسلاماً حقيقياً إلا إذا مارسها وأداها عملياً؛ إذ إن «تكوين أخلاق الإنسان وروحياته، وبناء علاقاته الاجتماعية لاتقوم بالوعظ وحده، ولا بالحفظ وحده، بل تحتاج إلى أفعال يمارسها الإنسان، لتتكون أخلاقه عملياً، ليبنى علاقات مع بنى الإنسان بالواقع. . . فتعود المرء على النظام فى الحياة، وعلى ضبط النفس، وعلى الحياة الاجتماعية التعاونية، وعلى التضحية فى سبيل المجموع، . . كلها تتطلب مراناً وممارسة يومية تلازم حياة الإنسان ليل نهار»[١٠].

والقرآن يدعو إلى اتخاذ التجارب العملية طريقا لإثبات الحقيقة. . تأكيداً لما

يعتقده الفرد، وتثبيتاً لما يؤمن به، وطمأنينة لقلبه. وهذا ما نجده واضحاً فى سؤال إبراهيم - عليه السلام - لربه:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

إنها رغبة ابراهيم - عليه السلام - التى لا تتعلق بوجود الإيمان، إنما هو شوق منه إلى ملابسة السر الإلهى، فى أثناء وقوعه العملى. إنه أراد أن يرى القدرة وهى تعمل؛ ليحصل على مذاق هذه الملابسة ومتعتها. ومن ثم أمره ربه بالقيام بالتجربة، فأمره الله أن يأخذ أربعة من الطير ويتعرف عليها جيداً، ثم يذبحها، ويمزق أجسادها، ويفرق أجزاء هذه الطيور على الجبال، ثم يدعوها، فتتجمع الأجزاء مرة أخرى وترتد إليها الحياة، وتعود الطيور إليه ساعيات(١١). إنها دعوة إلى التثبت من الحقيقة بالتجربة العملية.

كما يدعونا الحق تبارك وتعالى إلى عدم الوقوف عند القول، إلى حيث الممارسة والعمل. بل ويتوعد بكبر مقته وعظم كرهه لمن يخالف قوله فعله. فيقول سبحانه:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[الصف: ٢-٣].

وذلك هو رسول الله ﷺ، الذى اهتم باستخدام أسلوب الممارسة العملية والتطبيق العملى لكل تعاليم الإسلام، على شخصه أولا، وفى تربيته لصحابته ثانياً. «فصلى (عملياً)، وقال لصاحبته:

صلوا كما رأيتمونى أصلى.

واقتدوا به وأدوها (عملياً) بكيفيتها الصحيحة. وكان يصحح (عملياً) لكل من يخطىءفى صلاته أو فى غير صلاته - كما جاء فى حديث المسئ صلاته،

عندما أخطأ الرجل فى صلاته وصححها له الرسول الكريم... وأدى ﷺ مناسك الحج (عملياً)، وقال لصحابته:

خذوا عنى مناسككم.

فاقتدوا به وطبقوها عملياً.. بل وفى كل معاملاته، كان ترجمة عملية للقرآن الكريم.. وكانت تصرفات الصحابة ومعاملاتهم تطبيقاً (عملياً) مثاليًا لتصرفاته ومعاملاته»[١٢].

وهكذا يعلمنا رائد التربية الإسلامية ومعلم البشرية ﷺ أن نتعلم ونمارس ما نتعلم، وأن نعمد إلى تعليم وتربية المتعلمين والمتربيين بالأسلوب العملى. «فكل معلم يمارس العمل» - المراد تعليمه - « ثم يتابعه المتعلم، أو يمارس كل متعلم العمل أمام معلمه، ثم يناظره المعلم ويصحح له أخطاءه» متى وجدت «كما صحح رسول الله ﷺ لفظ دعاء النوم للبراء بن عازب، وكما صحح صلاة المسئ صلاته»[١٣]... وينبغى على المربى المسلم أن يدرك أن تلاميذه إنما يحسن تعليمهم إذا هم مارسوا ما تعلموه من خلال خبرتهم وتجربتهم المباشرة. كما يجب أن يهتم المعلم بإظهار الجوانب الوظيفية والتطبيقية لما يتعلمه التلميذ فى واقع الحياة»[١٤]. بل وأن يراعى واضعو المناهج أن تكون هذه المناهج وظيفية ويمكن تطبيقها والاستفادة منها فى واقع الحياة.

رابعاً: أسلوب الحوار والمناقشة:

استخدمت التربية الإسلامية أسلوب الحوار والمناقشة. والذى له عدة فوائد تربوية كجذب الانتباه وشحذ الذهن وإعماله، وإبعاد المتعلمين والمتربيين عن الإنقياد الأعمى، وتحقيق الإقناع والاقتناع العقلى، ثم تحقيق المغزى التربوي المراد تحقيقه من الموقف.

والقرآن الكريم ملئ بالآيات التي قامت على المحاورة والمناقشة. كقوله تعالى:

﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ﴾[القيامة: ٤٠].

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦-٧-٨].

﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾[الرحمن: ٣١ مرة].

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[محمد: ٢٤].

﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِن قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٤].

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[النحل: ٤٣]. . .

إلى غير ذلك من الآيات التي تقوم على الحوار والمناقشة وعلى الأسئلة والاستفسارات، أو توجه إليها.

وفى قصة الخضر وموسى - عليهما السلام - كما جاءت بسورة الكهف - عرض لحوار مطول تم بينهما خلال رحلتهما معاً. فكان موسى حريصاً على فهم كل ما يحدث بمختلف المواقف، حين قام الخضر بخرق السفينة، وبقتل الغلام، وبناء الجدار.

﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝٧٩ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ۝٨٠ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝٨١ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾[الكهف: ٧٩-٨٢].

والسنة النبوية مليئة بالمواقف التى قامت على المحاورة وطرح الأسئلة والاستفسارات. فذلك حديث المصطفى مع معاذ بن جبل - على سبيل المثال - عندما كان يتحدث عن اللسان وزلاته. فسأله معاذ: «أمؤاخذون بما نتكلم به؟» فرد عليه الرسول المعلم:

«ثكلتك أمك يامعاذ. وهل يكب الناس على وجوههم فى النار إلا حصائد ألسنتهم؟»[١٥].

وقوله:

«أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره. قالوا: وإن كان فيه يارسول الله؟. قال: إن كان فيه فقد أغتبته...». وقوله: **«أتدرون ما المفلس؟..»**

وقوله:

«أتدرون ما الكوثر؟...»[١٦].

وذلك حواره المقنع المربى ﷺ مع الرجل الذى استأذنه فى أن يبيح له الزنا. فصاح الحاضرون به. فقال النبى ﷺ: قربوه. فلما دنا فيه، قال له عليه السلام: ألك أم؟ قال: نعم. فرد عليه الرسول: أتحبه لأمك؟ قال: لا. قال عليه السلام: أتحبه لأختك؟ أتحبه لبنتك؟.. والرجل يقول: لا.. لا.. وكان الرسول يقول له: فكذلك الناس لايحبونه لأمهاتهم، ولا لأخواتهم، ولا لبناتهم. ثم وضع النبى يده على صدره وقال: اللهم طهر قلبه، واغفر ذنبه، وحصن فرجه[١٧].

وذلك الفاروق عمر رضى الله عنه، يعتلى المنبر يوماً ويقول: أيها الناس، اسمعوا وأطيعوا. فيصيح أعرابى: لانسمع لك ياعمر ولا نطيع. فيقول عمر: ولماذا؟ ويجيبه الأعرابى: توزع على كل منا ثوباً واحداً، وتستأثر أنت بثوبين - إذ كان عمر طويلاً لايسعه ثوب واحد. فينادى عمر ابنه عبد الله قائلا: قم يا عبد الله فأجبه. فيجيب عبد الله: والله لقد أخذ من ثوبى نصفه، وضمه إلى ثوبه

حتى وسعه، وبقيت بنصف ثوب. فيرد الأعرابى - بعد إطلاعه على الحقيقة - الآن نسمع لك ياعمر، فتكلم. . . فلم يؤذه عمر، لأنه كان يطالب بالعدل[١٨]، ولأن عمر كان مؤمناً بأحقية رعيته فى مناقشته ومساءلته طلباً للعدل وإحقاقاً للحق، وتوثيقاً لرأيه فى الوقت نفسه.

وكان علماء المسلمين يشجعون طلبتهم على المناقشة والمناظرة، ويوجبون عليهم التمرن عليها. فقد نقد ابن خلدون الركود الذهنى فى بلاد المغرب العربى فى القرن الرابع عشر الميلادى، وعزاه لرداءة طرق التدريس، لأنها أهملت المناقشة والمناظرة فى التعليم. وهو يرى أن المناظرة فى المسائل العلمية تساعد على فهمها وعلى التعبير عنها، وينتقد سكوت الطلبة وعدم تكلمهم فيما عرفوا من العلوم. كما يأخذ عليهم العناية بالحفظ أكثر مما تقتضيه الحاجة. . . ويرى الزرنوجى أن قضاء ساعة واحدة فى المناقشة والمناظرة أجدى على المتعلم من مكث شهر كامل فى الحفظ والتكرار[١٩].

وعلى المعلم المسلم أن يعود طلابه الحوار والمناقشة، ليشحذ أذهانهم، ويقوى الحجة لديهم، ويعودهم الارتجال والمواجهة والثقة بالنفس. كما أن عليه أن يكون واسع الصدر، فيرد على كل استفساراتهم وأسئلتهم بإجابات صحيحة ومناسبة لمستويات نموهم؛ حتى يكونوا على وعي واقتناع بما يلقيه عليهم، وحتى يفيدهم بذلك.

خامساً: أسلوب التأمل الفكرى:

يعد التأمل الفكرى أحد أساليب التربية. إذ «من المعارف ما يكتسب عن طريق العقل والتأمل الفكرى واستنتاج حقائق غير مدركة بالحواس. فالاستدلال العقلى مسلك من مسالك اكتساب المعارف والعلوم، وما يرتبط بذلك الاستدلال من تحليل وتركيب وقياس واستنتاج وربط»[٢٠].

ذلك الأسلوب الذى يقوم على التأمل وعلى التفكير المنطقى السليم؛ حيث يتأمل الإنسان ما يقابله من مواقف وأحداث، وما يواجهه من قضايا ومشكلات،

محاولاً «تبين الأسباب والعلل التى تكمن وراء الأشياء. . ومحاولا معرفة نتائج ما نقوم به من أعمال. بل هو - أى التفكير المنطقى - أكثر من مجرد تحديد الأسباب أو النتائج، إنه يعنى الحصول على أدلة تؤيد أو تثبت صحة وجهة نظرنا أو تنفيها. إنه يقوم على الأدلة»، مما «يساعدنا على الوصول إلى أفضل إجابة للأسئلة التى نسألها، وإلى أفضل الحلول للمشكلات التى نحاول أن نجد لها حلاً»[٢١].

وللتأمل فى الطبيعة، والتفكر فى مخلوقات الله، الكثير من الفوائد والآثار التربوية؛ فالطبيعة «تلهمنا بمعانٍ كثيرة. وهى معلمة الشعراء والفنانين والأدباء والعلماء»[٢٢]. وبالتأمل والتفكر فيها يزداد الإيمان بخالق هذه الطبيعة، لدى هؤلاء المتفكرين والمتدبرين، كما تزداد فرص الابتكار والاكتشاف بكل مجالات الحياة.

ويحث الدين الإسلامى على استخدام ذلك الأسلوب التربوي. حيث التأمل والتفكر والتدبر فى كل مخلوقات الله. فيحفل القرآن الكريم «بالأمثلة التي تحث المسلمين على استخدام عقولهم وتفكيرهم فى الاختيار والتمييز والمفاضلة. بل وتحث المسلمين أيضاً على تحكيم العقل فى الأمور التى لم يرد فيها نص دينى صريح»[٢٣]. فقال سبحانه حاثاً على تدبر معانى القرآن الكريم:

﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾[محمد: ٢٤].

وقال حاثاً على التفكر والتدبر فى عظيم صنعه:

﴿أَفَلا يَنظُرُونَ إِلَى الإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-٢٠].

﴿أَوَ لَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾[الروم: ٨].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُوْلِي الأَلْبَابِ

﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[الرعد: ٣-٤].

﴿وَفِي الأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾[الذاريات: ٢٠-٢١].

والإسلام حيثما يأمر بالتأمل والتفكر إنما يأمر بأن يكون ذلك بالأسلوب الصحيح، وبعيدا عن الخرافات وعن المشاعر المتطرفة، يأمر بالتفكر فى جو من التؤدة وعدم التحيز أو التسرع فى إصدار الأحكام.

فيحارب الإسلام الخرافات. تلك «الأفكار المختلطة، التى تتعلق بأسباب الأشياء وعللها. فى الوقت الذى لاتوجد فيه أية صلة بين هذه الأشياء والنتائج التى تفترض أنها تنشأ عنها»[٢٤]. ويحارب - تبعا لذلك - السحر والشعوذة وقراءة الكف والطالع، وكل ما من شأنه تعطيل العقل وعدم استخدامه فى التفكير المنطقى السليم.

ويحذر الإسلام من التعجل فى إصدار الأحكام، دون تفكر وروية، ودون تدبر للأمر. فذلك قول الحق تبارك وتعالى فى كتابه العزيز، ويتردد دومًا على الأسماع:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[الحجرات: ٦].

لذلك، فعلى المعلم المسلم، أن يعود طلابه التفكير المنطقى السليم، وأن

يوجههم إلى التفكر والتأمل فى عظيم صنع الله. وأن يبعدهم عن كل ما يشوش العقل أو يعطله، أو يجعله ينحرف عن جادة الصواب.

سادساً: أسلوب الترغيب والترهيب والثواب والعقاب:

ذلك الأسلوب الذى يتماشى مع الطبيعة البشرية. والذى «لايستغنى عنه المربى فى كل زمان ومكان». إذ «لايمكن أن تجدي التربية وتحقق أهدافها ما لم يعرف الطفل أو الإنسان أن هناك نتائج مسرة أو مؤلمة، وراء عمله وسلوكه. فإن عمل خيراً نال السرور والحلاوة، وإن عمل شراً ذاق الألم والمرارة»[٢٥]. مما يجعل الإنسان يتحكم فى سلوكه ويعدل فيه بمقدار معرفته بنتائج ذلك السلوك وما يترتب عليه من منفعة أو ضرر.

والتربية الإسلامية تستخدم هذا الأسلوب التربوى. والأمثلة على ذلك يصعب حصرها، فى الكتاب أو السنة. فمنها - على سبيل المثال - قول الحق تبارك وتعالى:

﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾ [فصلت: ٤٦].

وقوله سبحانه:

﴿ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨ ﴾ [الزلزلة: ٧-٨].

وعندما تستخدم التربية الإسلامية هذا الأسلوب، فإنها تقدم الترغيب على الترهيب. فارجع لقول الحق تبارك وتعالى بالآيتين السابقتين فى سورة الزلزلة، لتجد الإثابة على الخير والترغيب فيه، جاءت قبل الترهيب من الشر والعقاب عليه. وكذلك قوله عز وجل بسورة البقرة:

﴿ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [البقرة: ٢٨٤].

وقوله سبحانه الذى يرغب فيه لعمل الخير بمضاعفته لحسنات كل من يعمل الخير:

﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَىٰ إِلاَّ مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

بل ويمتدح الحق تبارك وتعالى رسوله الكريم فى استخدامه لأسلوب اللين والترغيب فى الدعوة، ويدعوه إلى المزيد منه، قائلاً:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾[آل عمران: ١٥٩].

﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾[فصلت: ٣٣-٣٤].

﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[النحل: ١٢٥].

بل ولاتستخدم التربية الإسلامية الترهيب والعقوبة إلا إذا لم يفلح الترغيب والثواب. «وحين لاتفلح القدوة ولاتفلح الموعظة» ولاغير ذلك من أساليب تربوية.. ساعتها «لابد إذًا من علاج حاسم يضع الأمور فى وضعها الصحيح.. والعلاج الحاسم هو العقوبة.

وحين استخدام الترهيب والعقوبة، فإنما يستخدمان بدرجات متفاوتة، لدرجات من الناس. فمن الناس من تكفيه الإشارة البعيدة، فيرتجف قلبه ويهتز وجدانه، ويعدل عما هو مقدم عليه من انحراف. ومنهم من لايردعه إلا الغضب الجاهر الصريح. ومنهم من يكفيه التهديد بعذاب مؤجل التنفيذ. ومنهم من لابد من تقريب العصا منه حتى يراها على مقربة منه. ومنهم بعد ذلك فريق لابد أن يحس لذع العقوبة على جسمه لكى يستقيم»[٢٦].

فالإسلام يتبع جميع وسائل التربية، وأساليبها. ولا يترك منفذاً فى النفس

لايصل إليه. إنه يستخدم القدوة، والموعظة، والترغيب والثواب... ولكنه كذلك يستخدم التخويف والترهيب، بجميع درجاته، من أول التهديد إلى التنفيذ.

فهو مرة يهدد بعدم رضا الله.. وذلك أيسر التهديد، وإن كان له فعله الشديد فى نفوس المؤمنين:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾[الحديد: ١٦]..

ومرة يهدد بغضب الله صراحة (كما جاء فى حديث الإفك) وتلك درجة أشد:

﴿وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[النور: ١٤]..

ومرة يهدد بحرب الله ورسوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[البقرة: ٢٧٨-٢٧٩]..

ومرة يهدد بعقاب الآخرة:

﴿وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا﴾[الفرقان: ٦٨-٦٩]..

ومرة يهدد بالعقاب فى الدنيا:

﴿إِلاَّ تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾[التوبة: ٣٩]..

ثم يأمر بتوقيع العقاب[٢٧]:

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾[النور: ٢].

﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا﴾[المائدة: ٣٨].

﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ...﴾[المائدة: ٤٥].

فيطلب المولى تطبيق العقوبة على الجانى بمثل ما فعل بالمجنى عليه.

وقد أكد علماء المسلمين على تشجيع المتربيين على السلوك الحسن وإثابتهم عليه. كما أكدوا على عدم التعجل فى إيقاع العقوبة على الخطأ، واستخدامها بقدر ما يعالج هذا الخطأ، وبعد عدم جدوي طرق الإصلاح والعلاج باللين والامتناع.

فهذا هو الإمام الغزالى، نراه يؤكد على إثابة الطفل على السلوك الحسن وعدم التسرع فى معاقبته إذا أخطأ. بل تعطى له الفرصة ليرجع عن خطئه ويصححه أو يشارك فى تصحيحه. وفى ذلك يقول: «ومهما ظهر من الصبى خلق جميل، وفعل محمود، فينبغى أن يكرم عليه، ويجازى عليه بما يفرح، ويمدح بين أظهر الناس. فإن خالف ذلك فى بعض الأحوال مرة واحدة، فينبغى أن يتغافل عنه، ولايهتك ستره ولا يكاشفه، ولايظهر له أنه يتصور أن يتجاسر أحد على مثله، ولاسيما إذا ستره الصبى واجتهد فى إخفائه. فإن إظهار ذلك عليه ربما يفيده جسارة حتى لايبالى بالمكاشفة. فعند ذلك إن عاد ثانيا، فينبغى أن يعاتب سراً، ويعظم الأمر فيه، ويقال له إياك أن تعود بعد ذلك لمثل هذا، وأن يطلع عليك فى مثل هذا فتفتضح بين الناس...»[٢٨].

وذلك العبدرى الذى يرى «أن من الواجب التفكير فى طبيعة الطفل المخطئ» قبل تقدير العقوبة وإيقاعها عليه. «فإن نظرة عابسة إليه قد تكون كافية لزجره وإصلاحه. وقد يحتاج طفل آخر إلى استعمال التوبيخ والتأنيب فى عقوبته. وقد

يستدعى الأمر مع نوع آخر من الأطفال ضربهم وتحقيرهم. ويجب ألا يلجأ المربى إلى استعمال العصا إلا فى حالة اليأس من نجاح طريقة الإصلاح واللين والشفقة». . كما يرى ابن سينا بأن «لا يعامل الطفل المخطئ بالشدة والعنف فى البدء. بل باللين واللطف ويستعمل معه الترغيب تارة، والتخويف تارة أخرى. ويستخدم العبوس والتوبيخ والتأنيب إذا اقتضى الأمر. وأحياناً يكون النصح والتشجيع أو المدح أجدى أثراً فى الإصلاح من التوبيخ والتأنيب»[٢٩].

وعلى المعلم المسلم، أن يبشر ولا ينفر، وأن يرغب المتعلمين فى العلم وتحصيله، وفى سلوكهم للمسلك الحسن، وأن يثيبهم على ذلك. وعليه أن يعظهم ويحذرهم من الخطأ، وأن يجنبهم قدر استطاعته السير فى طريقه، ويوضح لهم ما يترتب على ارتكابه من عواقب. وإذا ما وقع المتعلم فى الخطأ، وكان ذلك بدون وعى أو قصد، فإنه يسامح ويعفى عنه، بعد أن يوضح له خطؤه. ثم إذا تكرر الخطأ، أو كان متعمداً، فإن العقوبة هي الحل. لكنها العقوبة المناسبة للموقف وملابساته، وللخطأ وحجمه. على أن يكون الهدف من إيقاع العقاب هو التأديب والإصلاح.

سابعاً : أسلوب القصص:

للقصة أسلوبها الساحر، الذى يسحر النفوس، ويشد الخيال إلى متابعة مشاهدها وأحداثها. فتؤثر فى متتبعها أيما تأثير. «فقارئ القصة وسامعها لايملك أن يقف موقفاً سلبياً من شخوصها وحوادثها. فهو - على وعى منه أو غير وعى - يدس نفسه على مسرح الحوادث. ويتخيل أنه كان فى هذا الموقف أو ذاك، ويروح يوازن بين نفسه وبين أبطال القصة فيوافق أو يستنكر أو يملكه الإعجاب»[٣٠].

والإسلام يدرك ما للقصة من تأثير ساحر على النفوس، فيستخدمها كأسلوب تربوى ناجح؛ فيقدم القرآن الكريم العديد من القصص. قال سبحانه:

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ [يوسف:٣]. ولم تقدم القصة لمجرد السرد أو العرض، وإنما للتذكرة وللاعتبار والإتعاظ.

﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾[يوسف:١١١].

﴿ وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾[هود: ١٢٠].

واستخدم القرآن كل أنواع القصة: القصة التاريخية الواقعية المقصودة بأماكنها وأشخاصها وحوادثها. والقصة الواقعية التى تعرض نموذجاً لحالة بشرية. والقصة التمثيلية التى تمثل واقعة بذاتها، ولكنها يمكن أن تقع فى أية لحظة من اللحظات وفى أى عصر من العصور.

من النوع الأول: كل قصص الأنبياء، وقصص المكذبين بالرسالات وما أصابهم من جراء هذا التكذيب. وهى قصص تذكر بأسماء أشخاصها وأماكنها وأحداثها، على وجه التحديد: موسى وفرعون، عيسى وبني اسرائيل، صالح وثمود، هود وعاد، شعيب ومدين، لوط وقريته، نوح وقومه، إبراهيم وإسماعيل... إلخ.

ومن النوع الثانى: قصة ابنى آدم هابيل وقابيل:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَن تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ وَذَلِكَ جَزَاءُ

الظَّالمينَ (٢٩) فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخيه فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ منَ الْخَاسرينَ (٣٠) فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ في الأَرْض ليُريَهُ كَيْفَ يُوَاري سَوْءَةَ أَخيه قَالَ يَا وَيْلَتَىٰ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخي فَأَصْبَحَ منَ النَّادمينَ ﴾ [المائدة: ٢٧-٣١].

ومن النوع الأخير، قصة صاحب الجنتين[٣١]:

﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلاً رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لأَحَدهمَا جَنَّتَيْنِ منْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا (٣٢) كلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خلالَهُمَا نَهرًا (٣٣) وَكَانَ لَهُ ثَمرٌ فَقَالَ لصَاحبه وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ منكَ مَالاً وَأَعَزُّ نَفَرًا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالمٌ لِّنَفْسه قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبيدَ هَذه أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائمَةً وَلَئن رُّددتُّ إِلَىٰ رَبِّي لأَجدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا منقَلَبًا (٣٦) قَالَ لَهُ صَاحبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بالَّذي خَلَقَكَ من تُرَاب ثُمَّ من نُّطْفَة ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلاً (٣٧) لَكنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلا أُشْرِكُ بربِّي أَحَدًا (٣٨) وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ باللَّه إِن تَرَنِ أَنَا أَقَلَّ منكَ مَالاً وَوَلَدًا (٣٩) فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتيَني خَيْرًا مِّن جَنَّتكَ وَيُرْسلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاء فَتُصْبحَ صَعيدًا زَلَقًا (٤٠) أَوْ يُصْبحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطيعَ لَهُ طَلَبًا (٤١) وَأُحيطَ بثَمَره فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْه عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فيهَا وَهيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَني لَمْ أُشْرِكْ بربِّي أَحَدًا (٤٢) وَلَمْ تَكُن لَّهُ فئَةٌ يَنصُرُونَهُ من دُونِ اللَّه وَمَا كَانَ منتَصرًا﴾[الكهف: ٣٢-٤٣].

ويربى القرآن الكريم بالقصة جميع جوانب الشخصية. فيربى تربية اعتقادية إيمانية ببيان قدرة الله عز وجل والتنبيه إلى حظر غواية الشيطان، كما فى قصة أبينا آدم عليه السلام، وقصص أخرى غيرها.. ويربى تربية أسرية واجتماعية كما فى قصة يوسف عليه السلام... ويربى تربية جنسية كما فى قصتى يوسف ولوطاً عليهما السلام... إلى غير ذلك من جوانب تربوية: عقلية ونفسية وأخلاقية وإرادية وجسمية وجمالية... ينميها القصص القرآنى.

ويمكن للمعلمين وللمربيين المسلمين، فى المدرسة وفى المنزل وفى المسرح وفى السينما، وفى وسائل الإعلام المختلفة.. يمكن لهؤلاء جميعاً أن يستخدموا أسلوب القصص فى التربية من أجل تحقيق أهداف التربية الإسلامية.

ثامناً: أسلوب الأمثلة:

تستخدم الأمثلة لتقريب غير المحسوس بالمحسوس، أو لتقريب محسوس غامض وبعيد إلى محسوس آخر أكثر منه وضوحاً وقرباً، وذلك حتى يدركه الإنسان ويتفهمه.

وقد استخدم القرآن الكريم هذا الأسلوب التربوى. فضرب العديد من الأمثال:

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[الزمر: ٢٧].

﴿وَتِلْكَ الأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الحشر: ٢١].

وذلك «للتذكر والوعظ والاعتبار والتقرير وتقريب المراد للعقل فى تصويره بصورة المحسوس، لأن ذلك أثبت فى الأذهان وأسرع إلى الإقناع»[٣٢].

وأمثال القرآن قسمان: قسم ظاهر، وقسم كامن. أما الظاهر فمصرح به ومتضمناً للمثل والممثل به، أو المشبه والمشبه به؛ كقوله سبحانه:

﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾[العنكبوت: ٤١].

فيشبه ضعف ما اعتمد عليه المشركون فى عبادتهم لغير الله وما يبذلون من جهد يظنونه مثمراً، ولكنه لايجدى لهم نفعاً، شبهه بالعنكبوت تلك الحشرة الصغيرة التى تجهد نفسها فى البناء وهى لاتبني سوى أوهن البيوت وأضعفها.. وانظر إليه حين يشبه أعمال الكافرين بالسراب الذى يراه الظمآن فى الصحارى، فيظنه ماءً فيسعي إليه لإطفاء ظمئه. ولكن لا يلبث أن تملأ الخيبة قلبه عندما

يصل إليه فلا يجد شيئاً. وهكذا يغتر الكافرون بأعمالهم فيظنونها نافعة مجدية فإذا جاءوا يوم الحساب لم يجدوا شيئا مما كانوا يؤملون، بل وجدوا العقاب الذى توعدهم به ربهم[٣٣]. اقرأ قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ﴾[النور: ٣٩].

وأما القسم الكامن فيما ضربه القرآن الكريم من أمثلة، كقوله تعالى:

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾[يونس: ٣٩].

وهو كالمثل المتداول «من جهل شيئا عاداه». وقوله تعالى:

﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾[البقرة: ٢٦٠].

وهو كالمثل المعروف «ليس الخبر كالعيان». وقوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وهو كالمثل المعروف «خير الأمور أوسطها». وقوله تعالى:

﴿مَن يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ﴾[النساء: ١٢٣].

وهو كالمثل المعروف «كما تدين تدان»[٣٤]. وكقوله سبحانه:

﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾[فاطر: ٤٣].

وهو كالمثل القائل «من حفر حفرة لأخيه وقع فيها».

وقد استخدم رسول الله ﷺ هذا الأسلوب التربوى، لتقريب غير المحسوس بالمحسوس، وفى مواقف كثيرة.. فيضرب عليه السلام - على سبيل المثال - مثل الجليس الصالح والجليس السوء، مشبهاً لهما ببائع المسك ونافخ الكير. فيقول عليه السلام:

«إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير. فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبة. ونافخ الكير، إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثة»(٣٥).

موجهاً بذلك نحو التخير الواعى للصديق: فنتخير لأنفسنا ولأبنائنا أو نطمئن لاختيارهم القرين الصالح والقدوة الحسنة، للانتفاع بهم والاستفادة منهم. ولنبتعد عن مخالطة قرناء السوء، تجنباً لشرورهم ودفعاً لضررهم وإيذائهم.. كما يشبه ﷺ المسلم بالنخلة. فعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما، أن النبى ﷺ سأل صحابته فقال:

(إن من الشجر شجرة لايسقط ورقها، وإنها مثل المسلم، فحدثونى ماهى؟ فوقع الناس فى شجر البوادى. فقال عبد الله : ووقع فى نفسى أنها النخلة، فاستحييت. ثم قالوا: حدثنا ما هى يارسول الله؟ قال عليه السلام: هى النخلة)(٣٦).

وهو يريد بذلك أن يوصل إلى أذهان صحابته - وكل من يقرأ أو يسمع هذا الحديث - حقيقة المسلم ومدى نفعه، وأنه كله خير - كما النخلة كلها خير: فى جزعها وفروعها وأوراقها وعسيبها وليفها وتمرها ورطبها وظلها.. حتى إذا رميت بالحجارة ردت على راميها بأطايب ثمرها(٣٧).

كما ضرب ﷺ بعضاً من الأمثلة العملية، مستخدماً فى ذلك الإشارات والحركات والرسومات، هادفاً بتلك الأمثلة تقريب غير المحسوس بالمحسوس لدى السامعين. فانظر إلى حديثه ﷺ عن كافل اليتيم مقروناً بتمثيله بإصبعيه، حيث يقول:

(أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة. وأشار بالسبابة والوسطى)(٣٨).

وذلك ليوضح وفى إيجاز وتمثيل بليغين مكانة كافل اليتيم وقرب منزلته من منزلة المصطفى فى الجنة. كما جاء فى الحديث عن عبد الله بن مسعود قال:

(خط لنا رسول الله ﷺ خطاً، ثم قال: هذه سبيل الله. ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شماله، ثم قال:

هذه سبل متفرقة، على كل سبيل شيطان يدعو إليه)[٣٩].

ثم قرأ قول الحق تبارك وتعالى:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

كما سلك علماء المسلمين بذلك الأسلوب التربوى، واهتموا بالتعليم عن طريق المحسوسات. فذلك الإمام الغزالى الذى «اتصفت طريقته فى التدريس بالاستقرائية فى معظمها، حيث الانتقال من المحسوس - لأنه أسهل - إلى المجرد»[٤٠]. فكثيراً ما يسوق الأمثلة، ليقرب بها المعنى المقصود؛ فيوصى المتعلم - مثلاً «أن لا يتكبر على العلم، ولا يتأمر على المعلم. بل يلقى إليه زمام أمره بالكلية فى كل تفصيل، ويذعن لنصيحته إذعان المريض الجاهل للطبيب المشفق الحاذق»[٤١]. مشبهاً للمتعلم وحاجته للنصح والتربية بالمريض وحاجته للمداواة، مع تشبيهه للمعلم المربى بالطبيب الماهر ذى القلب الرحيم والمشفق على مرضاه والحريص على علاجهم.

وذلك ابن خلدون يحث على الاعتماد على الأمثلة الحسية فى تفهيم المتعلمين، ولاسيما فى البداية، لأنهم فى البداية ضعيفى الفهم قليلى الإدراك[٤٢]... هؤلاء وغيرهم من علماء التربية المسلمين، كثيراً ما كانوا يسوقون الأمثلة لتوضيح المعنى المقصود من توضيحاتهم ونصائحهم المربية.

تاسعاً: أسلوب الأحداث الجارية:

يتعرض الناس فى حياتهم دوماً للأحداث.. تقع بسبب تصرفاتهم الخاصة أو لأسباب خارجة عن تقديرهم وخارجة عن إرادتهم. والمربى البارع لايترك الأحداث تذهب سدى بغير عبرة وبغير توجيه. وإنما يستغلها لتربية النفوس وصقلها وتهذيبها.

ومزية الأحداث - كأسلوب تربوى - أنها تثير النفس بكاملها وترسل فيها قدراً من حرارة التفاعل والانفعال. فيكون من الحكمة - هنا - استخدام الدواء عند حدوث الداء.

وقد قام القرآن الكريم - وهو يربى الأمة الإسلامية فى منشئها - باستغلال الأحداث فى تربية النفوس استغلالاً عجيباً عميق الأثر... وكانت الحكمة من استخدام ذلك الأسلوب هو الطرق والحديد ساخن.. حتى لاتفلت الحادثة بلا عبرة مستفادة، وبلا أثر ينطبع فى النفس ويبقى(٤٣).

والأمثلة على استغلال القرآن الكريم للأحداث الجارية فى التربية كثيرة. منها حادثة التيمم. حيث كان ﷺ فى أحد أسفاره، وأقام والناس معه بالصحراء، وليسوا على ماء، وناموا حتى أصبحوا وليس معهم ماء. فأنزل الله تعالى آية التيمم:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلا جُنُبًا إِلاَّ عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ الْغَائِطِ أَوْ لامَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٤٣]

وحادثة انهزام المسلمين يوم حنين، يوم أعجبوا بكثرتهم وافتتنوا بها:

﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

«لقد كان الدرس هنا قاسياً عنيفاً.. يوم اعتز المسلمون بكثرتهم وأعجبتهم قوتهم، فقالوا: لن نغلب اليوم من قلة. كان الدرس هو ردهم إلى الله، ليعتزوا به وحده، ويستمدوا منه القوة وحده»(٤٤).

وحادثة الافك.. فعن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه. فأقرع بيننا فى غزوة غزاها فخرج سهمى، فخرجت - وذلك بعدما أنزل الحجاب - وأنا أحمل فى

هودجى وأنزل فيه. فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله من غزوه، وقفل، ودنونا من المدينة، إذن ليله بالرحيل. فقمت فمشيت حتي جاوزت الجيش. فلما قضيت شأنى أقبلت إلى الرحل.. فلمست صدرى فإذا عقد من جزع أظفار قد انقطع، فرجعت التمس عقدى. فحبسنى ابتغاؤه. وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون بى فحملوا هودجى على بعيرى الذى كنت أركب. وهم يحسبون أنى فيه. قالت: وكان النساء إذ ذاك خفافاً لم يثقلن ولم يغشهن اللحم، إنما يأكلن العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رحّلوه ورفعوه، فبعثوا الجمل وساروا. ووجدت عقدى عندما سار الجيش فجئت منازلهم وليس بها داعٍ ولا مجيب. فتيممت منزلى الذى كنت فيه، فظننت أن القوم سيفتقدونى فيرجعون إلىّ. فبينما أنا جالسة فى منزلى غلبتنى عينى فنمت. وكان صفوان بن المعطل قد عرّس وراء الجيش فأدلج فأصبح عند منزلى. فرأى سواد إنسان نائم وعرفنى حين رآنى، وكان يراني قبل أن يُضرب علىّ الحجاب. فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهى بجلبابى. فو الله ما كلمنى كلمة، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته. لأركبها.. فركبتها فانطلق يقود بى الراحلة حتى أتينا الجيش بعده نزولا موغرين فى نحر الظهيرة، فهلك من هلك فى شأنى. وكان الذى تولى كبره عبد الله بن أبّى بن سلول...»[٤٥]. وقد تحدث الناس فى ذلك وأفاضوا.. فأنزل الحق تبارك وتعالى ما يبرئ به عائشة، وما يربى به المسلمين فى ظروف أشد ما يحتاجون فيها إلى تربية. حيث قال:

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ لَّوْلا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ لَوْلا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾ وَلَوْلا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم

به علْمٌ وتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وهُوَ عندَ اللَّه عَظيمٌ ﴿١٥﴾ ولَوْلا إذْ سَمعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَن تَعُودُوا لِمِثْلِه أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[النور: ١١-١٧].

وحادثة الظهار. فعن عائشة قالت: تبارك الذى وسع سمعه كل شيء. إنى لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة ويخفى علىَّ بعضه، وهى تشكى زوجها - وهو أوس بن الصامت - إلى رسول الله ﷺ، وتقول: يارسول الله، أكل شبابى ونثرت له بطنى حتى إذا كبر سنى وانقطع ولدى ظاهر منى. اللهم إنى أشكو إليك. فما برحت حتى نزل جبريل بتلك الآيات[٤٦]:

﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّه وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَائِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ الْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا ذَلِكُمْ تُوعَظُونَ بِه وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِه وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّه وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ١-٤].

وهكذا، ومن خلال الاطلاع على أسباب النزول، نجد آيات كثيرة نزلت لأسباب وحوادث. ذلك أن الله يربى أمته، فكان أن رباها بالأحداث الجارية.. وهذا - فى الوقت نفسه - إيماء وإيحاء من القرآن الكريم باتباع هذا الأسلوب فى تربية الإنسان، بحيث لاتتاح فرصة إلا ويستغلها المربى فى تحقيق أهداف التربية عن هذا الطريق. على أن تتدرج من البيئة المحلية، إلى دائرة أوسع فأوسع، وهكذا، حتى يتحقق النمو المنشود فى ربط المتعلمين بأحداث مجتمعهم ووطنهم الإسلامى، والعالم كله[٤٧]. وحتى تكون التربية تربية واقعية حية ملائمة للزمان والمكان.

عاشراً: أسلوب الترويح:

إن النفس البشرية مجبولة على محبة السرور، ومفطورة على الميل إلى المرح؛ فالإنسان، وبخاصة طالب العلم، يجب أن يكون دائماً فى نشاط موفور، لا يعرف الملل أو الكلل. وإذا استمر طالب العلم فى عمله الجاد دون أن يجد ما يخفف عنه أعباء الحياة وييسر عليه صعوبة العلم ويذلل له وعورة الطريق فى التدريب والتربية ويخفف من شعوره بالملال.. إذا استمر طالب العلم بهذه الكيفية ما استطاع أن يواصل طريقه العلمى، وما استطاع أن يحقق المستوى العلمى الرفيع. ومن ثم فهو فى حاجة بين الفينة والفينة إلى أن يروح عن نفسه، وينفس عن جده وتعبه(٤٨).

ويمكن للمربيين والمتربيين أن يستخدموا الترويح كأسلوب وكمدخل تربوى، تتم من خلاله التنمية لعديد من جوانب الشخصية. بحيث يكون هذا الترويح ترويحاً تربوياً بناءً.

والتربية الإسلامية، وبقيادة المربى الأعظم ﷺ، قد راعت ذلك الأسلوب التربوي واستخدمته. فجعلت للترويح مكاناً فى المواقف التربوية والتعليمية. سواء فى ذلك بالسماح باللعب، ولاسيما لصغار المتربيين، أو بتخليل فترات الدرس والتعليم بفترات راحة، أو بالفاكهة والمرح، أو بالخروج للفسح والمتنزهات، أو بغير ذلك من وسائل الترويح المباحة والمربية.

فعن عائشة رضى الله عنها قالت: «كنت ألعب بالبنات عند النبى ﷺ وكان لى صواحب يلعبن معى. فكان رسول الله ﷺ إذا دخل يتقمعن منه، فيسربهن (أى يرسلهن) إلىَّ فيلعبن معى)(٤٩). كما كان عليه السلام يمازح أهل بيته من النساء أو الأطفال. ففى وصف أم المؤمنين عائشة له قالت: وكان فى مهنة أهله، يرقع ثوبه، ويخصف نعله، ويحلب شاته، ويداعب أهله، ويلاعب أحفاده...)(٥٠).

وكان ﷺ حريصاً على إدخال السرور على حفيديه (الحسن والحسين) كلما

رآهما؛ فكثيراً ما كان «يندمج فى اللعب معهما، ويبرك لهما على يديه ورجليه، ويركبهما على ظهره، ويطوف بهما أركان البيت، ويقول:

«نعم الجمل جملكما، ونعم العدلان أنتما»[٥١].

وقد تعددت ألوان الترويح فى مجتمع الرسول ﷺ «كالحداء، والارتجاز، والغناء، والترويح بالمداعبة والممازحة، والترويح بالفروسية، والرمى، وبالمسابقات الرياضية كالمصارعة وسباق الأقدام وسباق الخيول والجمال. والترويح بالصيد»[٥٢]، إلى غير ذلك من ألوان الترويح المباحة.

كما لاقى الترويح التربوى اهتماما وتأكيداً من قبل صحابة رسول الله ﷺ، ومن قبل علماء التربية المسلمين.. فذلك الإمام على رضى الله عنه يقول:

«روحوا القلوب ساعة بعد ساعة. فإن القلب إذا اكره عمى».

ويقول:

«إن القلوب تمل كما تمل الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة»[٥٣]، تجديداً لنشاطها ووقاية لها من السآمة والملل.

وذلك الإمام الشافعي رحمه الله، كان يحبب للطلبة الانطلاق فى اللعب فى الجو الطلق أثناء الرحلات، ويطلب منهم أن يكون كل منهم حراً مرحاً طليقاً.. كما كان يتخير الدعابة الحلوة والطرفة الجميلة، يضفى بها على المجلس جواً من المرح والترويح يحكيها لطلابه.. وذلك وصولاً للهدف الذى يريده.. وهو الترويح وتجديد نشاط الطلاب، حتى لايقعوا فى الملل من شدة العلم وطول الحياة الجدية فى طلبه[٥٤].

وذلك الإمام الغزالى رحمه لله، ينصح بأن يسمح للطفل باللعب والمرح بعد الانتهاء من دروسه؛ لتجديد نشاطه ولاستمراره فى التعليم وعدم كرهه للعلم وطلبه للخلاص منه. فقال: «وينبغى أن يؤذن له (أى للصبى) بعد الانصراف من الكتاب أن يلعب لعباً جميلاً، يستريح إليه من تعب المكتب. بحيث لايتعب فى اللعب. فإن منع الصبى من اللعب، وإرهاقه إلى التعليم دائماً، يميت قلبه،

ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة فى الخلاص منه رأساً»[٥٥]. تلك النصائح التي يؤكد فيها الغزالى على جملة من الفوائد التربوية للعب : الجسمية والعقلية والنفسية. .

وهكذا، يمكن للمعلم والمربى أن يوجه إلى الترويح التربوى، وأن يستخدمه كأسلوب تربوى لما له من مساهمات فى تحقيق أهداف التربية الإسلامية فى التنمية الشاملة للفرد، والتي من أبرزها:

١- المساهمة فى تحقيق التربية العقيدية المتوازنة:

فيتيح الترويح التربوى فرصاً هامة للتأمل والتفكير فى عظمة الله الخالق المبدع. كما أن الترويح التربوى فى الإسلام يحد من غلو العباد الذين لايرون فى الحياة إلا الجد المرهق والعمل المتواصل. كما أنه يحد من غلو المفرطين الذين يرون الحياة فرصة للمتعة المنطلقة. كما أنه يسهم فى التربية الجهادية وهى جزء من عقيدة المسلم.

٢- تنمية القدرات العقلية:

فيسهم الترويح فى تنشيط قدرات الإنسان العقلية، وزيادة قدراته على التركيز والتفكير، ويسهم فى إبعاد الخمول والكسل الفكرى.

٣- المحافظة على الصحة الجسمية:

حيث يسهم الترويح واللعب فى المحافظة على صحة الجسم واطراد نموه، بما يتيحه من رياضات أو حركات تسهم فى تحريك وتنمية عضلات الجسم الكبيرة والصغيرة، كما تسهم فى تنشيط الوظائف الحيوية للإنسان.

٤- المساهمة فى التنمية الخلقية:

حيث يتيح الترويح التربوي فرصة كبيرة لتدريب الممارسين على السلوك الإسلامى فى العلاقات والمعاملات وفى حالات المرح واللعب كمثل حالات الجد والعمل. ويعمق الترويح قيم التعاون والمنافسة الشريفة

وتحمل المسئولية واحترام آراء الآخرين، ورعاية مصالحهم.. إلى غير ذلك من القيم البناءة.

٥- تحقيق التكيف النفسى السليم:

فيسهم الترويح التربوى فى تخليص الإنسان من التوترات والصراعات الداخلية. ويسمح له بالتنفيس عن مشاعره وانفعالاته. ويحقق له شعوراً بالسعادة والرضى، ويشبع لديه حاجاته النفسية، كالحاجة إلى التقدير وتحقيق الذات والتخلص من الكبت والإحباط، الذى قد يعيشه فى فترة من الفترات كما يسهم فى علاج بعض المشكلات النفسية أو الاجتماعية ذات الأثر النفسى.

٦- تنمية الجانب الاجتماعى :

حيث يسهم الترويح فى تهيئة مناخ جيد لنمو الروح الاجتماعية. فينشأ الممارس على حب الاجتماع وبغض العزلة والانفراد. كما يحرص على زرع القيم الاجتماعية الأخلاقية الجيدة.. فهو يمنع السخرية والإيذاء والظلم والتعصب للرأى... وينمى بدلاً من ذلك قيم الأخوة والتفاهم والألفة والعدل والتسامح...

٧- تنمية الحواس الذوقية:

فجمال الطبيعة ومناظرها الخلابة، وجمال الكلمة فى الشعر، وجمال اللحن أو الأداء، وتناسق الحركة والإيقاع، وجمال اللوحة واللون، وغير ذلك من مواقف تجلي الجمال.. تساعد الإنسان على التذوق والإحساس بالجمال من حوله[٥٦].

٨- تنمية الجانب الإرادى :

فالنشاط والتريض، والتنافس وقبول التحدى، والحرص على الفوز والتفوق، مع عدم الغرور عند النجاح، وعدم اليأس عند الإخفاق أو الفشل.. كل ذلك ينمى إرادة الفرد ويصقلها.

هوامش الفصل السادس

(١) محمد قطب: **منهج التربية الإسلامية** - بيروت - دار الشروق - ط٢ - د.ت، ص ٢٢٥.

(٢) ابن ماجة : **سنن ابن ماجة** - جـ٢ - الرياض - شركة الطباعة العربية السعودية - ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، حديث ٣١١٠.

(٣) (أ) محمد قطب : مرجع سابق، ص ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

(ب) عايد توفيق الهاشمى : **طرق تدريس الدين** - بيروت - مؤسسة الرسالة - ط٢ - ١٩٧٤، ص ٣١٠.

(٤) محمد قطب : مرجع سابق، ص ص ٢٢٦-٢٢٧.

(٥) عايد توفيق الهاشمى : مرجع سابق، ص ١٣٨.

(٦) محمد قطب : مرجع سابق : ص ٢٢٨, ٢٢٩.

(٧) عبد الرحمن النحلاوى : **أصول التربية الإسلامية وأساليبها فى البيت والمدرسة والمجتمع** - دمشق - دار الفكر - ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ص ٢٤٢.

(٨) على خليل أبو العينين: **فلسفة التربية الإسلامية فى القرآن الكريم** - القاهرة - دار الفكر العربى - ١٩٨٠، ص ٢١٩.

(٩) المرجع السابق، ص ٢٢٠.

(١٠) المرجع السابق، ص ٢١٩. نقلاً عن: محمد فاضل الجمالى: **نحو توحيد الفكر التربوى فى العالم الإسلامى** - تونس - الدار التونسية للطباعة والنشر والتوزيع - ١٩٧٢، ص ص ١٠٤-١٠٥.

(١١) على خليل أبو العينين: مرجع سابق، ص ٢٢٨.

(١٢) سعيد إسماعيل القاضى: «المبادئ التربوية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة» - **مجلة كلية التربية ببنها** - كلية التربية ببنها - جامعة الزقازيق - الجزء الأول - يناير ١٩٩٥، ص ص ٢٦, ٢٧.

(١٣) عبد الرحمن النحلاوى : مرجع سابق، ص ٢٤٢.

(١٤) محمد منير مرسى: **التربية الإسلامية أصولها وتطورها فى البلاد العربية** - القاهرة - عالم الكتب - ١٩٧٧، ص ٦٠.

(١٥) ابن ماجة: مرجع سابق - حديث ٢٩٧٣.

(١٦) الإمام مسلم: **صحيح مسلم** - جـ٥ - القاهرة - عيسى البابى الحلبى - ١٣٧٥هـ/١٩٥٦م، ص ٣٧٩.

(١٧) فى : عايد توفيق الهاشمى: مرجع سابق، ص ص ١٤٥-١٤٦.

(١٨) المرجع السابق، ص ١٤٩.

(١٩) محمد عطية الأبراشى: **التربية الإسلامية وفلاسفتها** - القاهرة - دار الفكر العربى - ط٣ - ١٩٧٦، ص ٢٠٤.

(٢٠) محمد منير مرسى: **أصول التربية الثقافية والفلسفية** - القاهرة - عالم الكتب - ١٩٧٧، ص ١٩٠.

(٢١) وليم شانر : **الطريق إلى التفكير المنطقى** - ترجمة: عطية محمود هنا - القاهرة - مكتبة النهضة المصرية - ١٩٦١، ص ص ١٦-١٧.

(٢٢) محمود السيد سلطان: **مقدمة فى التربية** - الكويت - مؤسسة الوحدة للنشر والتوزيع - ط٣ - ١٩٧٧، ص ٩٣.

(٢٣) محمد منير مرسى : **أصول التربية الثقافية والفلسفية**، مرجع سابق، ص ١٩٠.

(٢٤) وليم شانر : مرجع سابق، ص ١٠٢.

(٢٥) على خليل أبو العينين : مرجع سابق، ص ٢٤٠ - نقلاً عن : محمد فاضل الجمالى : نحو توحيد الفكر التربوى، ص ١١٧.

(٢٦) محمد قطب : مرجع سابق، ص ٢٣٦.

(٢٧) المرجع السابق، ص ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

(٢٨) الغزالى : **إحياء علوم الدين** - جـ٢ - القاهرة - دار الشعب - د.ت، ص ١٤٦٩.

(٢٩) محمد عطية الأبراشى: مرجع سابق، ص ص ١٥٠-١٥٢.

(٣٠) محمد قطب : مرجع سابق، ص ٢٣٧.

(٣١) المرجع السابق، ص ص ٢٣٧-٢٣٨.

(٣٢) عفيف عبد الفتاح طبارة: **روح الدين الإسلامى** - بيروت - دار العلم للملايين - ط١٧ - ١٩٧٨، ص ٣٩.

(٣٣) المرجع السابق، ص ٣٤.

(٣٤) المرجع السابق، ص ٣٩.

(٣٥) الإمام مسلم : **صحيح مسلم بشرح النووى** - جـ١٦ - بيروت - دار إحياء التراث العربى - ط٢ - ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م، ص ١٧٨.

(٣٦) البخارى : صحيح البخارى - جـ١ - استانبول - المكتبة الإسلامية - ١٩٨١، ص ٢٢.

(٣٧) سعيد إسماعيل القاضى : مرجع سابق، ص ٢٢.

(٣٨) البخارى : **صحيح البخارى** - جـ٧ - استانبول - المكتبة الإسلامية - ١٩٨١، ص ٧٦.

(٣٩) المرجع السابق، ص ٨٠.

(٤٠) محمد زياد حمدان: **التدريس المعاصر تطوراته وأصوله وعناصره وطرقه** - عمان - دار التربية الحديثة - ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، ص ٣٣.

(٤١) الغزالى : **إحياء علوم الدين** - جـ١ - القاهرة - دار الشعب - د.ت، ص ٨٤.

(٤٢) ابن خلدون : **المقدمة** - بيروت - دار الكتاب اللبنانى - ١٩٦٠، ص ١٠٣١.

(٤٣) محمد قطب : مرجع سابق، ص ص ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٦٤.

(٤٤) المرجع السابق، ص ٢٦٠.

(٤٥) انظر : أسباب النزول للسيوطى. فى : محمد حسن الحمصى : قرآن كريم **تفسير وبيان مع أسباب النزول للسيوطى** - دمشق وبيروت - دار الرشد - د.ت، ص ص ٣٥٠ - ٣٥٢.

(٤٦) المرجع السابق، ص ٤٧٥.

(٤٧) على خليل أبو العينين : مرجع سابق، ص ٢٤٩.

(٤٨) بدر محمد ملك، وخليل محمد أبو طالب: **السبق التربوى فى فكر الشافعى** - الكويت - مكتبة المنار الإسلامية - ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م، ص ١٧٨.

(٤٩) البخارى : **صحيح البخارى** - جـ٧ - مرجع سابق، ص ١٠٢.

(٥٠) خالد فهد العودة: **الترويح التربوى رؤية إسلامية** - الرياض - دار المسلم للنشر والتوزيع - ١٤١٤هـ، ص ١١٢.

(٥١) بدر محمد ملك، وخليل محمد أبو طالب: مرجع سابق، ص ١٦٣.

(٥٢) خالد فهد العودة : مرجع سابق، ص ص ٨٥ - ١٠٦.

(٥٣) بدر محمد ملك، وخليل محمد أبو طالب: مرجع سابق، ص ١٧٨.

(٥٤) المرجع السابق، ص ١٨٢.

(٥٥) الغزالى : **إحياء علوم الدين** - جـ١ - مرجع سابق، ص ١٨٢.

(٥٦) خالد فهد العودة : مرجع سابق، ص ص ٤٧-٥٣.